

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ.
" حَقُّ الْحَيَاةِ لِكُلِّ نَفْسٍ مَصُونَةٌ وَمُخْتَرَمٌ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي قُمْتُ
بِقِرَاءَتِهَا:

"وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"¹

وَيَقُولُ رَسُولُنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ
الَّذِي أَسْلَفْتُ ذِكْرَهُ: "مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ
عَلَيْهِ"²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

لَا شَكَّ أَنَّ دِينَنَا دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْعَدَالَةِ وَالْأَمْنِ
وَدِينُ الْمَرْحَمَةِ وَالْأَمَانِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ حَقَّ الْعَيْشِ يَأْتِي فِي
مُقَدِّمَةِ الْقِيَمِ الَّتِي قَامَ الْإِسْلَامُ بِحِفْظِهَا وَصُونِهَا. وَوَقْفًا لِدِينِنَا
الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ دُونَ تَفْرِيقَةٍ بَيْنَ دِينٍ وَلُغَةٍ وَعِرْقٍ
وَجِنْسٍ، لَدَيْهِمْ الْحَقُّ فِي أَنْ تُصَانَ أَرْوَاحُهُمْ وَتُحْفَظَ. وَقَدْ أَشَارَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ فِي حُطْبَةِ الْوَدَاعِ
مُعَلِّنًا لَهَا لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ بِقَوْلِهِ: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ،
فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ."³

لَا شَكَّ أَنَّ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ هُوَ
ظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَعَلَى النَّقِیضِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ إِنْقَادَ حَيَاةِ شَخْصٍ كَانَ
فِي وَضْعِ الْمُضْطَرِّ وَالْمُحْتَاجِ لِلْمُسَاعَدَةِ هُوَ الْفَضْلُ وَالشَّرْفُ
بِعَيْنِهِ. وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الْمَبْدَأُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ فِي كُلِّ
الشَّرَائِعِ الَّتِي جَاءَ بِهَا جَمِيعُ الرُّسُلِ، قَدْ دُكِرَ هَكَذَا فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ: "... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا
قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا..."⁴
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامُ!

إِنَّ حُرْمَةَ كُلِّ نَفْسٍ قَائِمَةٌ مُنْذُ أَنْ تَخَلَقَتْ فِي بَطْنِ أُمِّهَا
إِلَى حَدِّ الْمَمَاتِ. وَوَقْفًا لِلْحُدُودِ الْقَانُونِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي
بَيَّنَّهَا وَخَطَّهَا دِينُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْجَنِينِ بِإِجْهَاضِهِ
لِيَكُونَ صَحِيحَةً أَسْبَابٍ كَيْفِيَّةٍ مَزَاجِيَّةٍ مِثْلَ تَعْرِیضِ حَيَاةِ أُمِّهِ
لِلْخَطَرِ دُونَ وُجُودِ دَوَاعِ طَبِیَّةٍ لَذَلِكَ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُقْتَلَ الْمَرْأَةُ
تَحْتَ وَطْأَةِ الْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ بِذَرِيعَةٍ دَاعِيٍ "الشَّرْفِ". فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ
تُرَدَّمَ مِثْلَ دَعَاوَى الدَّمِ هَذِهِ بِجَهَالَةٍ سَوْدَاءَ تَنْبِنِي عَلَى مَقُولَةٍ "إِنَّ
عُرْفَنَا يُلْزِمُنَا بِفِعْلِ ذَلِكَ"، وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقًا الْإِفْدَامُ عَلَى قَتْلِ أَيْ
أَحَدٍ. فَالنَّفْسُ أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ
يَقْتُلَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ " أَلَيْسَتْ هَذِهِ النَّفْسُ هِيَ مِلْكِي وَأَنَا صَاحِبُهَا
؟"

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

يَجِبُ أَنْ لَا نَنْسَى أَبَدًا أَنَّ هَذَا الدِّينَ الْخَاتَمَ الَّذِي أَرْسَلَهُ
رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ، قَدْ أُسِّسَ عَلَى الرَّحْمَةِ
وَالْمَرْحَمَةِ. وَإِنَّ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَسُولُ
هَذَا الدِّينِ الْخَاتَمِ، هُوَ رَسُولُ الرَّحْمَةِ. وَلَا يُوْجَدُ فِي الْإِسْلَامِ أَبَدًا
مَكَانًا لِلْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ وَالظُّلْمِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعُنْفَ وَالشِّدَّةَ هِيَ
جُرْحٌ لِلْوُجْدَانِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْحُوهُ الزَّمَنُ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْسَاهُ

الْقَلْبُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعُنْفَ هُوَ ظُلْمٌ وَاصِحٌّ وَصَرِيحٌ سِوَاءِ أَكَانَتْ
صَحِيحَتُهُ إِمْرَأَةً أَوْ رَجُلًا أَوْ طِفْلًا أَوْ عَجُوزًا. وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ دُونَ
أَدْنَى رَيْبٍ.

مَسْكِينٌ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي يَضْعُفُ
أَمَامَ غَضَبِهِ أَوْ كَرَاهِيَّتِهِ أَوْ جَهْلِهِ فَيَسْتَعْتِدُّ قُوَّتَهُ فِي سَحْقِ
الْمَظْلُومِ دُونَ تَرَدُّدٍ. وَإِنَّ مَنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ شَفَقَةٌ أَوْ مَرَحَمَةٌ
وَمَنْ هُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ هُمْ وَافِعُونَ فِي وَسْطِ ظَلَامٍ
دَامِسٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّ رَسُولَنَا الْحَبِيبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَامِلُ كُلَّ
النَّاسِ الَّذِينَ يُخَاطِبُهُمْ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ عَائِلَتِهِ وَأُسْرَتِهِ، بِكُلِّ
احْتِرَامٍ وَشَفَقَةٍ وَأَدَبٍ. وَلَمْ يَحْدُثْ أَبَدًا أَنْ قَالَ لِأَحَدٍ قَوْلًا غَلِيظًا
وَمُسِيئًا، وَلَمْ يَسْمَعْ لِأَيِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا أَنْ يُمَارِسُوا
الْعُنْفَ وَالشَّدَّةَ تَحْتَ أَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ. كَمَا وَقَدْ حَدَّرَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِذْ يَقُولُ:
"إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّهُمْ عَدَابًا لِلنَّاسِ فِي
الدُّنْيَا."⁵

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّهُ لِأَمْرٍ مُخْرِنٌ أَنْ يُصْبِحَ أَبْنَاءُ الْمُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمَةِ
الَّذِينَ يُنْتَظَرُ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَقُومُوا بِإِيْدَاءٍ وَلَوْ تَمَلَّةٍ صَغِيرَةٍ، يُقْدِمُونَ
عَلَى قَتْلِ بَعْضِهِمْ الْبَعْضَ وَتَحْتَ أَسْبَابٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَهَا
الْعَقْلُ مِثْلَ "نَظْرَاتِهِ سَيِّئَةٌ!، قَامَ بِصَنْغِطِ الزَّامُورِ!" وَعَظِيمًا. وَكَانَ
الْمُسْلِمِينَ قَدْ نَسُوا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ أَمَرَ بِأَنْ يَتِمَّ تَعْيِينُ
حَكَمٍ عِنْدَ حُدُوثِ خِلَافٍ مَا وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي جَانِبِ الْحَلِّ
وَالصُّلْحِ، وَكَانَتْهُمْ قَدْ نَسُوا كَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَدْ صَفَحَ وَعَفَا حَتَّى عَمَّنْ حَاوَلُوا قَتْلَهُ، بَعْدَ أَنْ نَدِمُوا عَلَى

فَعَائِلِهِمْ! وَقَدْ أَصْبَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُفْتَرَضُ بِهِمْ أَنْ يَتَعَامَلُوا
بِالصَّبْرِ وَالتَّسَامُحِ فِي الْبَيْتِ وَالمَدْرَسَةِ وَفِي أَمَاكِنِ الْعَمَلِ
وَالطَّرِيقَاتِ، يَنْهَزُمُونَ فِي لَحْظَةٍ مَا أَمَامَ غَضَبِهِمْ وَانْفِعَالِهِمْ
وَيَقُومُونَ بِإِيْدَاءٍ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ. بَيِّدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَدْ انْتَفَدَ مَنْ يَتَعَامَلُ بِقُوَّةِ ذِرَاعِهِ وَلَا يُحَكِّمُ عَقْلَهُ بِقَوْلِهِ:
"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ
نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ."⁶

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

تَعَالَوْا! لِنَكُونَ شَاهِدِينَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي
وَضَعَهَا فِي كُلِّ حَيٍّ يَتَنَفَّسُ. وَلِنَصْفَحَ عَنِ الْمَخْلُوقِ إِرْضَاءً
لِلْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلِنَبْتَعِدَ عَنِ إِيْدَاءِ أَيِّ كَائِنٍ سِوَاءِ بِأَيْدِينَا أَوْ
بِأَلْسِنَتِنَا. وَلِنَقْتَدِ بِالْفَاعِدَةِ النَّبَوِيَّةِ الْفَائِلَةِ "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ."⁷
وَلِنُحْرِضَ عَلَى أَنْ نُحَافِظَ عَلَى ذَلِكَ الْفَضْلِ بِأَنْ "تَكُونَ مِثَالِ
الْمُؤْمِنِ الْأَمِينِ" وَهُوَ الْمِيرَاثُ الَّذِي بَقِيَ لَنَا مِنْ رَسُولِنَا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَهْمَا كَانَتْ الْمُشْكِلَةُ أَوْ الْخِلَافُ كَبِيرًا
فَلِنَبْتَعِدَ تَمَامًا عَنِ مُحَاوَلَةِ حِلِّهِ بِالْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ. وَلِنَتَحَدَّثَ
وَنَسْتَمِعَ وَنَفْهَمَ وَنَتَفَاهَمَ بِشَكْلِ يَلِيقُ بِنَا كَبَشَرٍ مُكْرَمِينَ.
وَلِنُحْرِضَ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى الْأَلَّا نُخْرِبَ دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا بِالْإِقْدَامِ
عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي أَجَلَّهَا وَأَعْظَمَ قَدْرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَعَلَ
الْمَسَاسَ بِهَا مُحَرَّمًا.

¹ سُورَةُ النِّسَاءِ، الْآيَةُ 93.

² سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابُ الْفَضَاءِ (الْأَفْضِيَّةِ)، 31.

³ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، 9، صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْقِسَامَةِ، 30.

⁴ سُورَةُ الْمَائِدَةِ، الْآيَةُ 32.

⁵ سُنَنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الْمُجَلَّدُ الرَّابِعُ، 90.

⁶ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْأَدَبِ، 76، صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْبِرِّ، 107.

⁷ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، 17.